

إيران تريح الجولة النووية

اتفاق يُعدّل قواعد الاشتباك ولا يوقف الصراع



بات واضحاً من خلال نص الاتفاق الذي وزع أمس أنه محصور بالنووي من دون أن يشمل الملفات الإقليمية (أ، ب)

تنفس العالم الصعداء، أخيراً. مفاوضات هارتونية استمرت عامين. وضعت حداً لـ 12 سنة من الصراع على البرنامج النووي الإيراني، الذي كاد يهدد، في أكثر من مناسبة، بحرب إقليمية. اتفاق في الساعات الأخيرة أدخل رياضي أوباما - كيري وروحاني - ظريف التاريخ من أوسع أبوابه. بات للرئيس الأميركي إرث يفاخر به، وللإيراني إنجاز يعزز نفوذه. الجميع في انتظار ثمار الاتفاق، فإي مستقبل ينتظر إيران والمنطقة من بعده؟

إيلي شلحوب

يوم تاريخي بلا شك يفصل بين زمنين، ذاك الذي شهده العالم يوم أمس. نقطة فاصلة، لها ما قبلها وما بعدها. حدث كاشف عزى الولايات المتحدة وبين لجميع حدود ما تمتلكه من قوة. ضابط إيقاع وضع سقفاً لقواعد الاشتباك في المنطقة. «خلاصة المفاوضات»، التي يتم تعريفها بأنها «اتفاق» بين إيران ومجموعة «1+5»، لم تعد ذات صلة بذاتها، بقدر ما تكمن أهميتها في دلالاتها. كثر سيسعون خلف المفردات والتعابير، بل ربما يحلون الفواصل والأرقام.

الاتفاق يعطي إيران هامشاً أكبر من الحركة الإقليمية، مدعومة بالمقررات التي سيمنحها إياها رفع العقوبات

سيقارنون بين «النتيجة» و«الأهداف» ليبنوا استنتاجات الربح والخسارة. لن يتذكر هؤلاء، ربما، أن مجرد تفكير إيران في ولوج الغمار النووي كان محظوراً عليها تحت التهديد بالحديد والنار. بل سيتجاهلون على الأرجح أنها بنت برنامجها النووي كاملاً، ومن ثم فرضته على طاولة

حد تجعل من هذا «الإخضاع» بلا قيمة عملانية. لكنها نالت مطالبتها الأساسية منه، في مقدمها رفع كامل للعقوبات ومنع أستجواب العلماء، مع الإبقاء على أراك مفاعل مياه ثقيلة وإن بإشراف الصين، فضلاً طبعاً عن الاعتراف بها دولة نووية بدورة إنتاج إيرانية بالكامل.

أي يمكن من أمر، ما من شك في أن بلوغ هذا التفاهم يعكس إرادة سياسية من الجانبين للوصول إلى هذه الغاية، التي لا بد أن تضع حداً لاحتمال الصدام المباشر الذي كان يزيد من منسوبه التقدم النووي الصاروخي لطهران، والذي وضعها على حافة ثلاثة أشهر من امتلاك قنبلة نووية على ما يعترف به الغرب. وبالتالي، يشكل الاتفاق سقفاً لقواعد الاشتباك في المنطقة لا يمكنها تجاوزه. بل

هو إيجاد آلية تمنع طهران من امتلاك قنبلة نووية، هذا على فرض أنها كانت ترمي إلى ذلك أصلاً، وهذا فضلاً طبعاً عن فتح الطريق أمام شركائه لولوج الأسواق الإيرانية.

في المقابل جاء الاتفاق ليحسم «نطاق التفاهم»، الذي بات واضحاً من خلال النص الذي وزع أمس أنه محصور بالنووي من دون أن يشمل الملفات الإقليمية. بل على العكس، كان واضحاً من خطاب السيد علي خامنئي قبل يومين أن الصراع مع الولايات المتحدة في المنطقة مستمر، بل سيشهد تصعيداً. صحيح أن إيران وافقت على إخضاع كافة منشآتها، وبينها العسكرية منها، للتفتيش، لكن وفق الآلية التي ينص عليها البروتوكول الإضافي لمعاهدة حظر نشر الأسلحة النووية، وهي الآلية معقدة جداً إلى

ولم يمنع إيران من تطوير قدراتها النووية ولا من تمدد نفوذها في المنطقة، وبالتالي لم يبق من خيار سوى الحوار والتفاهم. بل أكثر من ذلك، أطاح الاتفاق، بما استبطن من إجماع إيراني عليه ضمن سقف «الخطوط الحمراء» التي حددها المرشد، كل رهان على استخدامه كحصان طروادة لإثارة فتنة داخلية، أكد أوباما أصلاً أنه لا يعول عليها. اقتصر سقف الأمال الأميركي على إدخال الجمهورية الإسلامية في «ثقافة حوار» يمكن أن تؤدي بعد عقد من الزمن إلى تطويع طهران عبر المراهنة على الجيل الثالث للثورة، الذي لم يشهدها، ويفترض أن يكون قد تسلّم المواقع القيادية في البلاد بحلول ذلك التاريخ. يمكن المحاجبة بان الانجاز الوحيد الذي حققه الغرب

المفاوضات. هل مصطلح «الكعكة الصفراء» الذي أقام الدنيا ولم يقدها على الجمهورية الإسلامية في بداية العقد الماضي لا يزال يعني شيئاً؟ صحيح أنه «اتفاق» قد يبدو مفخخاً، ويحمل في ثناياه الكثير من النقاط التي تسمح للطرفين بأداء تحقيق أهدافه، وهو بالتالي يحتاج إلى وقت من التمحيص لاستخراج الشيطان الكامن في تفاصيله، لكنه شكل مصداقاً لكثير من الاستنتاجات التي اعتبرت، خلال فترة خلت، أنها تحليلات.

لعل أول دلالاته إخراج «خيار الحرب» على إيران من دائرة التداول نهائياً. كان ببارك أوباما قد عبر عن ذلك في أكثر من مطالعة (عادة لا تتلى إلا في دوائر مغلقة) أكد فيها أن الخيار الثاني، وهو العقوبات، لم يجد نفعاً

«اتفاق ليس مثالياً... لكنه أفضل الممكن»

أجل تنفيذ هذا الجهد التاريخي». موغريني اعترفت بأن «الاتفاق لم يكن سهلاً»، وأشارت في هذا المجال إلى أن الجهود تضافرت لتجاوز اللحظات الصعبة، معتبرة أن «الالتزام المشترك بين الأطراف مكنتنا من التوصل إلى هذا الإنجاز». كذلك أكدت أن «خطة العمل المشترك صفقة متوازنة لمصالح كل الأطراف».

وهي إذ أشارت إلى أن الاتفاق يضمن أن يكون برنامج إيران لتخصيب اليورانيوم لأغراض سلمية فقط، فقد أضافت أن «ذلك يشير إلى أن التنفيذ الكامل لخطة العمل المشتركة سيسهم، بشكل إيجابي، في السلام والأمن على المستويين الإقليمي والدولي»، لافتة إلى أن «إيران تؤكد مجدداً أنها لن تسعى قط تحت أي ظرف لتطوير أو امتلاك أسلحة نووية».

وزير الخارجية الإيراني قال، من

يوم أمس، بعدما كانت الأيام الـ 18 السابقة مليئة بالغموض والتمديد وبياتهامات متبادلة من قبل مختلف الأطراف بعرقلة التوصل إلى ما أعلن عنه، صباحاً، وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف ومنسقة الشؤون الخارجية للاتحاد الأوروبي فريديكا موغريني. في مؤتمر صحافي مشترك، قالت موغريني إن هذا الاتفاق يعتبر «خطوة كبيرة باتجاه علاقات دولية أفضل». هي اتفقت، أيضاً، مع ظريف على أن «هذا اليوم تاريخي».

«نعلن التوصل إلى خطة العمل المشتركة الشاملة، فهي قد تكون نهاية للمفاوضات لكنها ليست نهاية للعمل المشترك»، استأنفت موغريني كلامها، ساعية إلى شرح أهمية اللحظة ومضيغة في الوقت ذاته: «سنواصل هذه المهام الجسيمة وندعو المجتمع الدولي لدعمنا من

استيقظ العالم، أمس، على أن الملف النووي الإيراني، الذي شهد صولات وجولات، أصبحت نهايته حقيقة، بعدما جعلتها الأيام القليلة الماضية، التي حفلت بالتصريحات والانتهايات والتأويلات، بعيدة المنال. 109 صفحات تحمل في طياتها نجاحاً دبلوماسياً يكمل سنتين من المفاوضات الصعبة والمكثفة، وتقل ملقاً معقداً طالما كان سبباً في تازيم العلاقات الدولية، منذ أكثر من اثني عشر عاماً، ولكنها تفتتح في المقابل على واقع جديد وأفاق مختلفة تشارك إيران في صناعتها، بعدما قاتلت للحصول على اتفاق (أبرز بنوده على الموقع) يعني في أبرز ما يعنيه رفع العقوبات عنها، تحت ذريعة طمأنة العالم إلى أنها لن تتمكن من امتلاك قنبلة نووية.

ترحيب وتعبير عن ارتياح حفل بهما

